الفصل السادس

فى ذكر اللوح والقلم والعرش والكرسىّ والملائكة والصُور والصِراط والميزان والحوض والاعراف والثواب والعقاب والحُجب وسدرة المنتهى وسائر ما يرويه الموحّدون ممّا يُعدّ من أُمور الآخرة واختلاف من اختلف فيها ،

ذكر اللوح والقلم قال الله تعالى فى محكم كتابه نۤ والقلم وما يسطرون وقال فى كتاب مكنون لا يمسّه الا المطهّرون وقال وكلّ شئ [f° 31 r°] احصيناه فى امام مبين وقال ما فرّطنا فى الكتاب من شئ وقال فى لوح محفوظ قال أكثر المفسّرين انّه لوح وقلم خلقهما الله كما شآء وألهم القلم أن يجرى بما أراد وجعل اللوح واسطةً بينه وبين ملائكته كما جعل الملائكة واسطةً بينه وبين رُسُله ورسلَه واسطةً بينه وبين خلقه وهذا لا يختلف فيه موحّدٌ ولا يسوغ الاختلاف فيه لظاهر

النصّ من الكتاب والسُنّة فإن خطر خاطرٌ بأنّه أيّةُ فائدة فى اللوح والقلم فليقل له بأنّ أسرار حكمة الله عزّ وجلّ عن العباد محجوبة إلّا ما أطلعهم عليه وما طوى عنهم فليس إلا التصديق به والاستسلام له لقول الله عزّ وجلّ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمُّ الكتاب واعلم ان الكلام فى هذا الفصل مع من يؤمن باللّه وملائكته وكُتُبه ورُسُله لأنّ هذا سبيله سبيل الخبر والسمع والمسلمون وأهل الكتاب قاطبةً قد تلقّوه بالقبول وقد قال قائلٌ أنّ اللّه تبارك وتعالى لمّا أراد ان يخلق الخلق علم ما هو كائن وما هو مكوّنه فأجرى القلم به فى اللوح وروى فيه اخبار مسطّرة فى كُتب أهل الحديث رضينا بما صحّ منها واستسلمنا له وجاء فى ذلك القلم أن طوله ما بين السمآء والأرض وأنه خلق من نور وفى صفة اللوح أنّه لوح محفوظ طوله ما بين السمآء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب معقود بالعرش يصُكّ ما بين عينَىْ اسرافيل وهو أقرب الملائكة إلى العرش فإذا أراد اللّه تبارك وتعالى أن يحدث فى خلقه شيئًا قرع اللوح جبهة اسرافيل فأطلع فيه فاذا فيه ما أراد الله تعالى بقول الله يمحو اللّه ما يشآء

ويثبت وعنده أمُّ الكتاب فيأمر به جبرئيل أو من يليه من الملائكة وأكثر أهل الدين على أنّ البارئ لا يُسْمَع كما أنّه لا يُلْمَس وإنّما يُسْمَع كلامُه كما يلمس خلقُه هذا قول أهل الإسلام وقد ذهب قومٌ من المتسترّين بالدين إلى تأويلات مكروهات مردودات فزعم بعضهم أن معنى القلم العقلُ لأنّه دون البارئ جلّ وعزّ فى الرتبة وجرى بنفسه لأنّ العقل يدرك الاشياء بغير واسطة قال ومعنى اللوح المحفوظ النفسُ لأنّه دون العقل فى الرتبة يدبّرها العقل كما جرى القلم فى اللوح المحفوظ وزعم ان القلم واللوح غير محدَثين ولا مخلوقين وقد دلّلنا على حَدَث العقل والنفس فى الفصل الثانى بما يجرى عليهما من الزيادة والنقصان والسهو والضعف والثقلة[1] والتجزّى بتفرّق الهياكل والأجسام وحاجة العقل إلى التجربة والامتحان وحاجة النفس الى الغذاء والقوام ما فيه كفاية وبلاغ وذلك أنّ القديم البارئ لا يجوز عليه شئ من هذه العوارض وزعم آخرون ان اللوح هو العالم السُفلىّ والقلم العالم العُلوىّ يؤثر فى السفلىّ وبعضهم يزعم أنّ القلم هو الروح واللوح الجسد وأهْوَن

[1] Ms. والقلة.

الأمور انكار اللوح والقلم وسائر ما وصف من أمر الآخرة والدخول فى الإلحاد المحض حتّى يقع الكلام معهم من حيث ينبغى أن يقع لأنّ هذه الاشيآء من شرائع الأنبيآء عليهم السلم فكما لم يوجبها العقل فكذلك لا يردّ تأويلها إلى العقل بل تسلّم كما جآءت ، وفى رواية سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضى الله عنهما انّ الله تعالى خلق لوحًا محفوظًا من دُرّة بيضآء دفّتاه ياقوتة حمرآء قلمه نور وكلامه برّ [f° 31 v°] ينظر اللّه فيه كلّ يوم ثلثمائة وستّين نظرة يُحيى بكلّ نظرة ويُميت بكلّ نظرة ويرفع ويضَعُ ويُعزّ ويُذلّ ويخلق ما يشآء ويحكم ما يريد والله اعلم واحكم وقد دلّلنا لكِ أنّ كلّ ما كان من امر الآخرة فروحانىّ حيوانىّ وإن شارك جسمانيًّا فى الأسامى فمن ذلك قوله دُرّة بيضآء وياقوتة حمرآء ،

ذكر العرش والكرسىّ وحملة العرش قال الله تبارك وتعالى وترى الملائكة حافّين من حول العرش وقال ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية فذكر العرش فى غير موضع من كتابه وقال وسع كرسيّه السموات والارض فلم يجز وقوع الاختلاف فيه بين المسلمين لظاهر شهادة الكتاب وانّما اختلفوا فى

التأويل فقال بعضهم أنّ العرش شبه السرير واستدلّوا على قولهم بقوله أيُّكم يأتينى بعرشها وبقوله ورفع أبويه على العرش وكثير من أهل التشبيه يذهب الى انه كالسرير له وهو مذهب أهل الكتاب ومن كان من العرب بدينهم يدلّ عليه قولُ أميّة بن ابى الصلت [كامل]

شدّ القطوع على المطايا ربّنا ... كلٌّ بنعمآء الاله مقيَّدُ
فاصحنْ[1] وافترش الرحائل شَرْجَعٌ ... نُفح على اثباجهنّ مؤكّد
بفصوص ياقوتٍ وكظّ بعرشه ... هولٌ ونارٌ دونه تتوقّدُ[2]
فعَلَا طُوالات القوائم فَاستوى ... فوق الجلود ومن أراد مخلّدُ

وقال ايضًا [خفيف]

مَجّدُوا اللّهَ وَهوَ للمجد أهلُ ... ربُّنا فى السمآء أمسَى كبيرا
ذلك المُنشئ الحجارة والمَوْ ... تَى وأحياهُمُ وكان جديرا
بالبنآء الأعلى الّذى سبق النا ... سَ وسوَّى فوق السمآء سريرا
شرجعًا لا ينالـه بَصَرُ النا ... س ترى دونه الملائكَ صُورا

[1] Note marginale: كذا فى الأصل.
[2] Ms. يتوقد.

وقال لبيد [كامل]

لله نافلة الأجلّ الافضل وله العُلَى ولبيتِ كلّ مُؤثَّلِ
سَوَّى فأغلق دون غرفة عرشه سَبْعًا طباقًا دون فَرْع المَعْقِلِ

وقال كثير من المسلمين أنّ العرش شيء خلقه الله لمنتهى علم عباده وتعبّد الملائكة بتعظيمه والطوافِ حَوْلَهُ ومسئلتِهِ الحوائج عنده كما تعبّد الناس بتعظيم الكعبة واستنجاح الحوائج لديها والصلوة[1] له اليها لا أن يكون ذلك مكانًا له أو حاملًا جلّ وتبارك البارئ ان يكون محمولًا او محدودًا او مُحاطًا وبعضهم يقول العرش المُلْك ويتأوّل قوله الرحمن على العرش استوى قال استولى على الملك واحتجّ بقول الشاعر [طويل]

اذا ما بنو مروانَ ثَلَّتْ عُروشُهم وأَوْدَتْ كما أَوْدَتْ إياد وحِميرُ

[f° 32 r°] واما الكرسيّ فخلقٌ مثل العرش وقد رُوينا عن الحسن أنّه قال الكرسيّ هو العرش وجاء فى بعض الروايات أنّ الكرسيّ بين يدى العرش كدرّة بأرض فلاة والسموات السبع-

[1] Ms. الصلاة.

والأرضون السبع وما فيها بجنب الكرسىّ كحلقة من حلق الدرع فى أرض فيحآء ومن المسلمين خَلْقٌ كثير يذهبون إلى أنّ الكرسىّ هو العِلْم واستدلّوا بقوله تعالى وسع كرسيّه السموات والأرض قالوا معناه أحاط علمُه بها وبما فيها والكراسى العلمآء وانشدوا بيتًا [طويل]

تَحُفُّ بهم بيض الوجوه وعُصبَةٌ كراسىّ بالاحداث حين تَنُوب

وقد روى أصحاب الحديث أنّ الكرسىّ موضع القَدَمين واللّه أعلم بصدقه وتأويله إن صحّ لأنّ مذهبنا تسليم ما قصُر عنه علمنا ، وأمّا حملة العرش الملائكة خُلِقوا لذلك فيُوصَف من اقدارها واجسامها ما اللّه به عليم قالوا وهم اليوم اربعةٌ وجهُ أحدهم على صورة وجه النسر والثانى كوجه الأسد والثالث كوجه الثور والرابع كوجه الرجُل فإذا كان يوم القِيٰمة ضُمَّتْ إليهم أربعة أُخرى بقول اللّه سبحانه ويحملُ عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانيةٌ وفى رواية ابى اسحق أنّ رسول اللّه صلعم أنشد قول أُميّة بن ابى الصلت [كامل]

حبس السرافيل الصوافَ تحتَه لا واهنٌ منهم ولا مُستوغِدُ
رَجُلٌ وثورٌ تحت رِجْل يمينه والنسرُ للأُخرى وليثٌ مرصدُ

فقال عليه السلم صدق هكذا الرواية والله اعلم بصدقها وقد يستدرج أهل الزيغ الاغمار من الاحداث بالأوّل والثانى والثالث والرابع يعنون بالاوّل القلم وهو عندهم العقل وبالثانى اللوح وهو عندهم النفس وبالثالث العرش وهو عندهم الفلك المستقيم والضابط للأفلاك وبالرابع الكرسىّ وهو فلك البروج عند بعضهم لأنّ المنجّمين مختلفون فى هذا التقسيم والملائكة الّذين هم حملة العرش الأركان الأربع وهذه الاشياء عندهم لم تزل ولا يزال فكيف يصحّ الخبر عنها بالأوّل والثانى والثالث لأنّ كلّها أوائل عندهم كما يزعمون وما الفرق بينهم وبين من عارضهم من المشبّهة بأنّ العرش ممهّد والكرسىّ مُسْتَقَرّ القدمَيْن مع وفاق ظاهر اللفظ لتأويلهم لبُعده عن تأويل الزائغين لانّا لم نجد شيئًا فى كتب المنجّمين وأهل الطبائع بأنهم سمّوا العقل قلمًا والنفس لوحًا والفلك عرشًا يعرفونها باسمائها المشهورة عند سامعيها ونعوذ بالله من الخزلان والحرمان وسوء الاختيار والعجز عن إتّباع الحقّ،

فى ذكر الملائكة وما قيل فى صفاتها، روى المسلمون أنّ الملائكة خُلقت من نور وذكر ابن اسحق أنّ أهل الكتاب يزعمون أنّ اللّه خلق الملائكة من نار والنار والنور واحد فى معنى اللطافة والضوء ويمكن التوفيق بين الخبرَيْن بأن ملائكة الرحمة خُلقوا من نور وملائكة العذاب خُلقوا من نار ولا نعلم أحدًا ممّن يدين الله بدين إلّا وهو مُقِرّ بالملائكة وان كانوا مختلفين فى قِدَمها وحدوثها وهيئاتها فمنه قول أُميّة بن ابى الصلت [كامل]

يتنابه المتنصّفون بسُجرة ... فى ألفِ ألفٍ من ملائكَ يحشدُ

[f° 32 v°] رُسُلٌ يجوبون السمآء بأمره ... لا ينظرون ثوآء مَنْ يتقصّدُ

فهُمُ كأوب الريح بينا أدبرَتْ ... رجعت بوادى وجهها لا تكردُ

حُذّ مناكبهم على أكتافهم ... زُفّ يزفّ بهم إذا ما استنجدوا

وإذا تلاميذ الإله تعاونوا ... غلبوا ونَشْطهم جناحٌ مُعْتَدُ

نهضوا بأجنحة فلم يتواكلوا ... لا مُبطئٌ منهم ولا مُستوغِدُ

واختلف المسلمون فى عدم البصر والحواسّ لهم فمن قائل أنّ

* Ms. ملائكة.

البصر يفقدهم[1] للطافة أجسامهم واجزآئهم لا لونَ لها البصر لا يدرك إلّا ذا لونٍ وكذلك قالوا أليس نحسّ بها وهى معنا حَفَظة علينا والهوآء أغلظ واكثف من الملائكة فإذا كنّا لا نُحِسّ به حادثًا من حركة واضطراب فكيف بالروحانيّين الذين هم ألطف وألطف وقالوا فيما ناقضهم المخالفون به من صفة الله إيّاهم فى كتابه بالغلظة والشدّة فقال ملائكة غلاظ شداد وما جآء من عظيم صفاتهم وعُظم أجسامهم وان الملك كان يأتى النبىّ صلعم وعلى آله فى صورة الرجل وكذلك سائر الانبيآء انه غير منكر ان يُحدث الله تعالى فى الملك شيئًا ومعنًى يُرى ويُشاهَدُ إذا أراد ذلك كما يحدث فى الجوّ فيتركّب وينعقد غمامٌ من أجزآء الهبآء لا يدركها البصر ثم ينحلّ ويتفرّق حتى لا يُرى كما كان أوّلًا وكذلك حال الجنّة والشياطين وسائر الروحانيّين من الخلق وايضًا فانّ الملك سُمّى هذا الاسم لدُؤوبه فى الطاعة وانقياده لِما يُراد منه تخصيصًا وتفضيلًا فغير بعيد ان يكون الملائكة أصنافًا روحانيًا وجسمانيًا ونامياً وجامدًا وقد جآء فى بعض الأخبار أنّ

[1] Ms. تقدهم .

الرعد مَلَك والنار ملك والملائكة يسجدون جنودُ الله ورُسُله وسفرآؤه واوليـآؤه بقول اللّـه عزّ وجلّ وللّـه جنود السموات والأرض وقيل الجراد جند من جنود الله والنمل جند من جنود الله ألا ترى أنّـه لمّا بلغ معاويـة انّ الاشتر قد أُمِر فسُقِى سمًّا فى سَوِيق وعَسَل قـال مـا أبردها على الفؤاد إنّ للّـه جنودًا من عسل وقيل الأرض ملك والسمآء ملك حتّى عدد اكثر أجسام العالم واحتجّوا بقول اللّـه عزّ وجلّ قـالتا اتينا طائعين والقـول هو الأوّل فـإن كان جائزًا إطلاق اسم الملـك على هذه الأشيآء فيكون مجازًا لا حقيقـةً ،

ذكر اختلاف الناس فى الملائكة مـا هى أمّا المسلمون وأهل الكتاب فيقـولون هم خلق روحانيّـون كما ذكرناه آنفًا وكان مشركوا العرب يزعمون انّ الملائكة بنـات اللـه وانـه صاهر الجنّ فولدت له قـال الله تعالى وجعلوا الله شركآء الجنّ وخلقهم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثًا وقـالت الحرّانيّـة الملائكة النجـوم وهى المدبّرات للعالم وهو أحدث الباطنيّـة فزعمت انّها سبعة واثنا عشرة وتـأوّلت قولـه عليهـا تسعة عشر والخُرَّميّـة يُسمّون رُسُلهم الـذين يتردّدون فيما بينهم

ملائكة وامّا المجوس فلا يُنكرون الملائكة وانهم خلق غائب عنهم ويسّمونهم شتاسبندان فى ملّتهم الإقرار بهم والتصديق وزعم قوم انّ الملائكة هى النفوس الصافية وذلك انّ الإنسان اذا بالغ فى الارتياض [f° 33 r°] بمعرفة حقائق الاشياء واجتهد فى اقتناء الفضائل واختيار المحامد اتّصل بالعالم العلوىّ فصار عند مفارقة الهيكل عقلًا خالصًا ونفسًا صافية فيسّمونه حينئذٍ المَلَك قالوا واقصى الدرجات فى الأسفل النبوّة وهى تُنال بالعلم والعمل وفى الأعلى الملائكة وهى ينالها مَن نال النبوّة فى الأسفل وزعمت فرقة أنّ الملائكة أبعاضٌ من الله واجزاءٌ وعندهم أنّه تبارك وتعالى شىءٌ بسيط روحانى وسمّاهم أُميّة فى شعره تلاميذ اللّه وأعوانه مع مقالات كثيرة متباينة وليس هذا الباب ممّا يُدرك بالعقل ولكنّه يُعرَف فإذا كان هذا سبيله فلا معنى لردّ ما سبيله الخبر إلى غير الخبر،

ذكر صفات الملائكة روى ابن اسحق الواقدىّ أنّ النبّى صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم قال ألَا أُحدّثكُم عن مَلَكٍ من ملائكة الله أذن لى ربّى فى الحديث عنه قالوا بلى يا رسول

الله قال إنّ لله ملكًا قد نفذ بقدمه الارض السُفلى ثمّ خرج من هوآء ما بين ذلك حتّى أنّ هامته لتحت العرش والذى نفس محمّد بيده لو سُخرت الطير فيما بين عُنُقه الى شحمة أذنه لخفقت فيه سبعمائة عام قبل أن يقطعه وروى ابن جُريج عن عكرمة عن ابن عبّاس رضى الله عنه أنّ النبىّ صلعم قال لجبرئيل إنّى أُحبّ أن أراك فى صورتك الّتى تكون عليها فى السمآء قال لا تقوى على ذلك قال بلى قال فأين تُحب أن أتخيّل لك قال فى الابطح قال لا يسعنى قال بعرفات قال ذلك بالحَرّى فواعده[1] ذلك وخرج النبىّ صلّى الله عليه وعلى آله وسلم للوقت فاذا هو بجبرئيل قد اقبل من جبال عرفات وقد ملأ بين المشرق والمغرب وسدّ الخافقين رأسُه فى السمآء ورجلاه فى الأرض وله كذا ألف جناح ينتثر منها التهاويل فلمّا رآه النبىّ صلعم خرّ مغشيًّا عليه فتحوّل جبرئيل عن صورته الى صورة التى كان يأتيه فيها وهى صورة دُجية الكلبىّ وهو ابن خليفة بن فروة الكلبىّ فضمّه الى صدره فلمّا أفاق قال ما ظننتُ أن لله تعالى خلقا يشبهك قال يا

[1] Ms. فواعداه.

محمد فكيف لو رأتَ اسرافيل رأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ايتضال احياناً من مخافة الله تعالى حتّى يصير كالصعوة وما يحمل عرش ربّك إلّا عظمته وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال انّ لله ملكًا البحار كلّها فى نقرة إبهامه وعن كعب الاحبار انه قال ان لله ملكًا السموات على منكبه يدور بها كما تدور الرحا وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى صفة ملائكة العذاب قال ما منهم ملك الّا ولو أمره الله أن يلتقم السموات والأرض وما فيهما من شئ لهان ذلك عليه لما عظّم الله من أجسامهم وقد جآء فى صفة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وصفة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وغير هولآء[1] من الملائكة ما يعتقد المؤمن الإيمان به والتسليم له وجآء فى صفة حملة العرش انّهم ملائكة قدرُ قَدَم أحدهم مسيرة سبعة ألف سنة ولهم قرون كقرون الوعول وقيل العرش على كواهلهم وقيل على مناكبهم ناشية فى العرش والله أعلم وأحكم ، وروى ابو حُذيفة عن مقاتل عن عطآء انّ الله يبعث

[1] Ms. هاولآء.

جبرئيل كلّ يوم الى جنة العدن فيغمس بجناحَيْه فى نهرها ثمّ يجيء فينفُضها [fo 33 vo] فيسقط من كلّ جناح سبعون ألف قطرة يخلق الله من كلّ قطرة ملكًا قال وما يقطُر من السمآء الى الأرض قطرة الّا ومعها مَلَكٌ ينزل الى الأرض ثم لا يعود اليها قال وما فى السموات موضعُ شبرٍ إلّا وفيه مَلَك قائم أو ساجد او راكع لم يرفع رأسه منذ خُلِقَ فاذا كان يوم القيامة رفع رأسه فيقول سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك قال وللّه ملك موكّل بالبحار فاذا وضع قدمه فى البحر مدّ واذا رفعها جزر قال والملائكة أربعة جبرئيل ملك الرسالة واسرافيل ملك الصُور وعزرائيل ملك الموت وميكائيل ملك الرزق ورُوى عن علىّ بن ابى طالب رضى اللّه عنه انّه قال الرعد ملك موكّل بالسحاب يسوقه من بلد الى بلد معه كذا من حديد كلّما خالفت سحابة صاح بها والبرق مصعه السحاب به وروى ابن الأنبارىّ فى كتاب الزاهر انّ السحاب ملك يتكلّم بأحسن الكلام ويبكى ويضحك والرعد كلامه والبرق ضحكه والمطر بكاؤه وعن كعب لولا انّ اللّه وكّل بطعامكم وشرابكم فى نومكم ويقظتكم مَن يذبّ عنكم ليحفظكم بقول الله تعالى له مُعَقِّبات

من بين يدَيْه ومن خلفه يحفظونـه من أمر [الله] وروى هشام ابن عمّار بن عبد الرحيم بن مطرف عن سعيـد بن سلمة عن ابان عن انس رضى اللـه عنـه انّ النبىّ صلعم قـال انّ للّـه ملكًا لـه ألف رأس فى كلّ رأس ألف وجه فى كلّ وجه ألف فم فى كلّ فم ألف لسان يُسبّح الله ويُقدّسه كلُّ لسان بـألف لغة من التسبيـح فهذا ومـا أشبهه موقوف على صحّة الخبر وصدق الراوى إذ ليس يمتنع عن البارئ سبحانـه وتعالى شئ ومـا عسى أن يقولـه قـائل وهو مُصَدق بابتداع اللّه أعيان هذا العالم لا من عين سابقـة فمن لم يعجز عن هذا فليس عن أعجب منـه بعاجز واذا كانت أحوال الملائكة كما وصفنا من إطلاق اسم الملائكة على الجماد والموات فغير بديع ما حُكى عنهم وقـد قيل الريح ملك وقيل من نَفَس مَلَك وأَذْكُرُ أنّى حاجّنى رجل من البهافريديـة[1] وهم صنف من المجوس أطلبهم للخير وآلفهم عن الاذى فى دفننا موتانا ما تعنينا بذلـك فقال انّ الأرض مَلَكٌ وانتم تلقمونـه الموتى فكيف تستحسنون ذلـك وقـد يرى بعض النـاس انّ الشياطين كلّ

[1] Ms. البهاقردية.

شرّين داعر[1] والملك كلّ خير فاضل ومذهب الدابر ما حكيناه ووصفناه ،

القول فى الملائكة أمكلّفون أم مجبورون وهم أفضل أم صالحو المسلمين قال قوم هم مضطرّون الى افعالهم مجبورون عليها ورُوى عن ابن عبّاس انّه قال فى قوله يُسبّحون الليل والنهار لايفترون ان التسبيح لهم بمنزلة النفس لنا وقال آخر هم مكلّفون مجبورون لأنّ الله تعالى يقول ومن يقل منهم إنى إلهٌ من دونه فذلك نَجْزِيه جهنّم ولايصحّ الوعيد على غير المقدور عليه وقد قال انّى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدمآء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون فدلّ هذا القول منهم على اختيارهم وقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ولولم يكونوا قادرين على المعصية لما كان يمدحهم بترك المعصية ومعنى قوله يسبحون الليل والنهار لايفترون مدح لهم على المواظبة على الطاعة أو لا يقطعهم عنها ما يقطع الناس من الحوائج والأشغال وقول ابن عبّاس رضى الله عنه انّ

[1] Ms. marg. كذا فى الأصل.

التسبيح سهلٌ عليهم كالنفس [f° 34 r°] فى سُرعة المؤاتاة والمطاوعة ويجوز ان يكون من تسبيحهم ما هو اضطرار ومنه ما هو اختيار فان قيل اذا كانت الطاعة منهم باختيار فهل لهم على ذلك من ثواب فمن قائل ان ثوابهم تقريب المنزلة ورفع الدرجة وآخر انه زيادة القوّة على الطاعة وتجديد الجِدّ والنشاط فى العبادة وآخر انه اخدامهم أهل الجنّة وليس الثواب كلّه المطعمُ والمشربُ لانهم ليسوا بذوى أجسام مجوّفة فيُلجئهم الحاجة الى ما يحتاج اليه ذوو الاجسام المجوّفة وقد قيل أنّ ثوابهم ان يستجيب دعآؤهم فى الموحّدين وذلك قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شىء رحمةً وعلمًا الآيةَ فطاعتهم مذ خُلقوا ان يستجاب فى الموحّدين ولهم مسئلة وتضرّع وطاعتهم بعد ذلك بشكر وبعرف[1] واختلفوا فى الملائكة وصالحى المؤمنين أيُّهم أفضل فذهب كثير من المسلمين إلى تفضيل الملائكة واحتجّوا بقوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب

[1] Indication marg. كذا فى الأصل.

ولا اقول لكم انى ملك وقوله تعالى فيما يحكى عن الشيطان
ما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة الّا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين وقول صواحب يوسف ما هذا بشرًا إنْ
هذا إلّا ملك كريم وقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يُؤمرون وقوله تعالى يسبّحون الليل والنهار لايفترون وقوله
ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البرّ والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلًا فلما لم يُدلّ على
من خلقنا علمنا ان هاهنا من هو أفضل منهم قالوا وهل
يستوى حال من لا يعصى قطّ وحال من لا يتعرّى عن معصيته
وكيف بفضيلة عمل مَنْ أفنى عُمره مائة سنة وفضيلة مَنْ
عُمره الأبد وذهب إلى أنّ صالحى المؤمنين أفضل لمكابدتهم
مشقّة الطاعة مع منازعة الشهوة وممانعة الشيطان والعمل
بالغيب خوفًا وطمعًا وانّى يقع طاعة من أُصفِيَ عن شوائب
الهوى وأُخلص من مزاحمة[1] الشهوة وأُمِدَّ بظلّ العصمة وحُرسَ
من الوساوس من طاعة مجبول على الهوى مطبوع على الشهوات
موكّل به اعداء من نفسه وجنسه وشيطانه وانّما يستحق

[1] Corr. marg. مزاج.

العمل تمام الفضيلة باحتمال الكدّ والعناء والمشقّة فيه قالوا وليس ينكر[1] ان الملائكة أفضل من الناس ومن كثير من أهل الاسلام حتّى تكرمنا[2] ما تلاه خصمنا من الآيات وانّما تفضيلنا فاضلى المؤمنين وصالحيهم وقد أسجدهم الله لصفيّه آدم عم فهلّا كان ذلك على سَبْقه بالفضيلة وقال جلّ وعزّ وان تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فقدّم صالحى المؤمنين بالذكر لفضيلتهم على كثير من الملائكة وليس فى وجوب الإيمان بهم اكثر فضيلة من وجوب الإيمان بالمؤمنين قال الله عزّ وجلّ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ثم هم مع ذلك خَوَلٌ لبنى آدم وحفظة عليهم وقد رُوى فى الحديث انّ الملائكة سألوا الجنّة فقال الله سبحانه لا أجعل صالح من خلقتُ بيدىّ كمن قلتُ له كن فكان ورُوينا عن كعب أنّه قال ركّب الله فى الملائكة العقل بلا شهوة وفى البهائم الشهوة بلا عقل وفى ابن آدم كليهما فمن غلب عقلُه

[1] Ms. تنكر.

[2] Ms. تكرمنا.

شهوتَـه فهو خير [f° 34 v°] من الملائكة ومن غلب شهوتُـه عقلَـه فهو شرٌّ من البهائم واحتجّ بعضُ المتأخرين بقول شاعر يمدح ابن موسى الرضا ويقال هى لأبى نواس [خفيف]

قِيلَ لى أنتَ أوْحَدُ النَّاس فى كُـــلِّ مقالٍ من الكلام النَبِيـهِ
لـك من جيّد الكلام نظامٌ يُجتَنَى الدُرُّ من يَدَى مُجتَنِيـهِ
فلمـاذا تركتَ مَدْحَ ابن موسى والخصالَ الّـتى يجمعْنَ فِيـهِ
قُلتُ لا أهتـدى لمـدح إمـامٍ كان جبرئيـلُ خادمًـا لأبِيـهِ

ذكر ما جآء فى الحجب اعلم انّ الحجاب لا يوجب حدًّا على الارسال لانّ الله محجوب عن خلقـه ولا يطلق القول بـأنـه محدود لأنّ الحجاب يحتمل وجوهًا من المعانى وروى وهب بن ابى سلام سأل رسول اللـه صلعم هل احتجب اللـه بشىء عن خلقـه غير السموات فـقـال نَعَمْ بينَه وبين الملائكة الذين هم حملـة العرش سبعون حجابًا من نور وسبعون حجابًا من نار وسبعون حجابًا من ظلمة حتّى عدّ خمسة عشر وفى حديث المعراج فـانتهيتُ إلى بحر من بحر اخضر فنُـودِى ان ارح محمّـدًا فى النور رجا وذكر عدّة بحار من أنوار ومن المسلمين من يستعظم

القول بالحجاب كيف وقد روى حمّاد بن سلمة عن عمران الحرّانى عن زُرارة بن أوفى قال قال رسول الله صلعم يا جبرئيل هل رأيتَ ربّك قال يا محمّد بينى وبينه سبعون حجابًا من نور لو دَنَوْتُ من أدناها لاحترقتُ وفى حديث ابى موسى الأشعرىّ لو انكشفت سُبُحاتُ وجهه لاحترق ما عليها من شىء ويسير هذا كلّه ما روى عن الحسن انه قال ليس شىء أقرب إلى الله تعالى من اسرافيل وبينه وبين ربّ العزّة سَبْع حجب من حجاب العزّة وحجاب الجبروت والعظمة وليست ممّا يوجب الحدّ فى الاحتجاب لانّها ليست بأجسام حاملةٍ بين الحاجب والمحجوب ولكنّه يمتثل فى بُعد وقوع الحواسّ وقطع الاطماع فى الإحاطة به والاختصاص بالعظمة والسلطان دون خلقه ومثل هذا ابلغ عند العبّاد وتعظيم البارئ وتفخيم قدره للرغبة إليه والرهبة منه اذ اكثرهم يرون ما لا يُدركه حواسُّهم ولايتصوّر فى أوهامهم باطلاق لا شىء ويدلّ على هذا التأويل ما روى فى الخبر العظمة إزارى والكبرياء ركابى[1] فمن نازعنيهما ألقَيْتُه فى النار ولا أُبالى فهل

[1] Ms. en marge ردائى.

يعرض لسامع شك فى أنّ العظمة لا يتّزر بها والكبرياء لا يتردّى بها ولكنّ الوجه مـا ذهبنا إليه واللّـه اعلم، وصفة الحُجب موجودة فى أشعارهم قـال بعضهم [طويل]

لك الحمدُ والنعمآء والشكرُ ربَّنَا فلا شىء أعْلَى مِنكَ حَدًّا وأمْجَدُ
مليكٌ على عرش السمآء مُهيمِنٌ لِعِزّتـه تَعْنُوا الوجوهُ وتسجُـدُ
فـلا بَشَرٌ يسمو إليه بطَرْفـه ودُونَ حجاب النور خَلْقٌ مُؤَيَّـدُ

ذكر ما جاء فى سدرة المنتهى وهى مذكورة فى كتاب اللـه عزّ وجلّ روى أنها على هيئة شجرة [f° 35 r°] يمرّ الراكب فى ظلّ فَنَنٍ منها [1] سنة قبل ان يقطعها ثمرها كالقـلال وورقها كآذان الفيلـة يـأوى اليها أرواح الشُهدآء والصِدّيقين فى صورة فراش من ذهب بقول اللّـه عزّ وجلّ عند سدرة المنتهى عندها جنّـة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى وقـد ذكرها حَسَّانُ فى شِعْره

مقامٌ لدى سِدْرة المُنْتهى لأحمدَ لَا شَكَّ للمُرْتضى

[1] Lacune; note marginale كذا فى الأصل.

وقوله تعالى عندها جنّة المأوى يردُّ قول من يزعم أنّ السدرة الشجرة التى كان النبىّ صلعم [تحتها بحراء اذ نزل عليه جبرئيل بالوحى اللهمّ الا ان يشبهه بقوله][1] إنّ منبرى هذا [نزعة][2] من نُزع الجنّة وقوله عم بين قبرى ومنبرى روضةٌ من رياض الجنّة فيكون مذهبًا وكذلك قوله عم الجنّة تحت ظلال السيوف غير أنّ الاخذ بالظاهر على القول الأوّل أعرف وأشهر والاخبار به أكثر قالوا وانّما سُمّيت سدرة المنتهى لأنّها منتهى علم العلمآء فلا يعلم أحدٌ من الملائكة والأنبيآء ما وراءها إلّا الله وحدَهُ وسمعتُ بعض القرامطة يتأوّلها بعلهم[3] بحراء محمّد صلعم ما علمه وأفشاه السرّ اليه لما رأى فيه من الامارات وتوسُّمه فيه فضّ الله أفواههم وخيَّب آمالهم،

ذكر الجنّة والنار لا أعلم أحدًا من أهل الأديان يُنكر الجزآء من الثواب والعقاب وان اختلفوا فى صفته واسمه ومكانه ووقته لأنّ فى ابطال الجزآء ابطال الأمر والنهى والوعد والوعيد وإجازة اهمال الخلق وارسالهم ويؤدّى ذلك

[1] Addition marginale.

[2] Lacune.

[3] Note marginale كذا فى الأصل.

إلى تسفيه الصانع وتجهيله أو الإلحاد والتعطيل وهذه المسئلة مُعَلَّقة بأصل التوحيد وذلك انّه لمّا قامت الدلالة على اثبات البارئ جلّ وعزّ وقدرته وحكمته لم يجز أنْ يكون شيء من أفماله غير حكمة وصواب فعلمنا أنّ الحكيم لم يخلق هذا الخلق عبثًا ولا لعبًا ولا سهوًا ولم يأمرهم ولم ينههم إلّا للثواب الذى عرضهم له والعقاب الذى حذّرهم وحاشى لله سبحانه وتعالى على أن نظنّ به غير الحقّ فالجزآء يوجبه مُوجب التوحيد وحجّته حجته ثم لطباق أكثر أهل الارض على الإقرار به من أعظم الحجج اذا كانت العارضة يكشفها حجّة العقل واجتماع الخلق فأىُّ عذر بعدها لمتخلّف عنها أو مائل الى ضدّها وان أحسّ من نفسه بنفرة فأولى به أن يتّهم عقله دون عقل المؤمنين والأُمم والأجيال فامّا القول فى أينيّة الجزآء وماهيّته أجنّة ونار [ام] غيرهما فشيء يتبع فيه الاخيار ولو شاء الله يجزئ بغيرهما كما شاء ولكن المعلوم من الثواب النعمة والاغتباط والمعلوم من العقاب المكروه والنكال ولا نعمة أعظم من دوام البقآء ولا عقوبة أبلغ من النار التى هى آكلة الأضداد

ذكر اختلاف الناس فى الجنّة والنار قرأتُ فى شرائع الحرّانيّة أنّ البارئ عزّ وجلّ وعد من أطاع نعيمًا لا يزول وأوعد من عصى العذاب بقدر استحقاقه وهذا ناموس أكثر القدماء ومنهم من يزعم ان النفس الشرّيرة الّتى عاثت فى هذا العالم وأفسدت وآذت إذا فارقت هيكلها حُبست فى الأثير وهى نار فى أعلى عُلوِ العالم والنفس الخيّرة التى استفادت الفضائل تعود الى عنصرها الأزلىّ ومنهم من زعم ان الفاضل يعلو فى العُلو والراذل يتسافل فيبقى فى الظلمة والخمود وقد قال ارسطاطاليس [f° 35 v°].ان العُلو الأعلى محلّ الخلود وانّ السفل[1] الاسفل محلّ الموت وعامّة أهل الهند يُقرّون بالجزاء والذين يهلكون أنفسهم بأنواع العذاب من القتل والحرق والغرق يزعمون أنّ جوارى الجنّة يختطَفْنَه قبل زهوق نفسه وانّما أثبتُّ هذا لأُبيّن لك إقرارهم بالجنّة فى كفرهم وجهلهم وأهل الكتاب مُجمعون على الإقرار به لأنّ ذكر الجنّة والنار فى غير موضع من كتابهم إلّا أنّهم مختلفون فى صفاتها بالجنّة فتسمّى بالعبرانيّة بريديسا وبالعبريّة كنعاذن ويزعم طائفة

[1] Ms. سفل ; la bonne leçon est donnée en marge.

من اليهود أنّـه إذا كان يوم القيمة أظهرت جهنّم من وادى [1] وأُحرِثت نارًا فى الوادى ونُصِب عليـه جسر وأظهرت الجنّة من ناحية بيت المَقْدِس وأمر الخلق أن يسيروا عليـه فمن كان منهم برنًا جرى مثل الريح ومن كان منهم آثمًا تهافت فى النار وزعمت فرقـة منهم أنّ الجنّـة والنار يفنيان وذلـك بعد ألف سنـة من وقت أن صار الناس إليهما ثمّ يصير أهل الجنّة ملائكة وأهل النار رميمًا وزعم آخرون أنّهما لا يفنيان أبـدًا وأمّـا المتناسخة وانّهم يرَوْن الجزآء فى النسخ والمسخ ويزعمون أنّ من استمرّ على طبع من طباع السباع والبهائم حوّل الى صورتـه عقوبـةً لـه ومن تعاطى الحقّ وكفّ عن الأذى وتجمّل بالجميل حُوّل فى صورة مَلَكٍ أو قـائـد او رئيس وهذا مذهب كثير من القـدمآء ، ومن المعطّلـة من لا يُنكر الجزآء فى الـدنيا بالفقر والفاقـة والآلام والأحزان مـا ارتكبه من قبيـح والسَّعَة فى الدنيا والراحة والفرح واللذّة جزآء مـا عمله من جميـل ويزعم السمنيّة من الهنود أنّ من كان قليـل الخير

[1] Lacune remplacée dans le ms. par trois points ∴ et note marginale كذا فى الأصل.

يصير كاسف البال رثّ الهيئة يأتى لأبواب فلا يتصدّق عليه ومن كان كثير الخير يصير مَلِكًا عظيمًا عزيزًا فمن أطعم الطعام أصاب القوّة لأنّ البدن تقوّى بالطعام ومن كسا الثياب أصاب الجمال ومن أوقد فى الظُّلَم أصاب حُسْن العيش لأنّ الصباح يَطْرُد الظلمات ،

ذكر اختلاف المسلمين فى الجنّة والنار اعلم أنّهم فيها على ثلث فِرَق فزعمت المعتزلة إلّا أبا الهُذَيْل وبشر بن المعتمر أنّهما لم يخلقا بعدُ وأنّهما يخلقان يوم القيامة واجاز النجّار أن يكونا خُلقتا وأن لم يخلقا بعدُ وانهما يخلقان يوم القيامة وقال سائر المسلمين أنّهما مخلوقتان مفروغ منهما واحتجّوا بآى من القرآن وأحاديث من السُّنّة فمنها قيل ادخل الجنّة قال ياليت قومى يعلمون وقوله تعالى ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله امواتًا بل احياء عند ربّهم يرزقون وقوله تعالى وجنّة عرضها السموات والارض أُعدّت للمتّقين فهل يجوز أن يُعدّ غير مخلوق وجآء فى الحديث أنّ الله خلق الجنّة كذا وكذا بصفات مضبوطة فى الكتب وقال واتّقوا النار التى أُعدّت للكافرين وقال النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًّا وقال ويا آدم اسكن

انت وزوجك الجنّة وقال مخالفوهم أنّ الجنّة والنار ثواب وعقاب والثواب والعقاب لا يستحقّان إلّا بعد وجود الأعمال الموجبة لهما قالوا ولو كانت الجنّة مخلوقة فأين مكانها وهى لا تسعها السموات والارض لقوله عرضها السموات والارض وتأوّلوا كلّ ما فى القرآن والسُنّة من ذكرهما على العِدّة المنتظرة وقد قال الله عزّ وجلّ ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فأخبر عنهم وليسوا فى الوقت قالوا وغير ممتنع على اللّه تعالى أن يخلق كلّ يوم جنانًا ويفنيها أو يبقيها[1] [fo 36 ro] كما يشآء وان ينعم أرواح المطيعين فى جنّة يخلقها لهم أو فى غير جنّة ويعذّب أرواح الظالمين فى نار أو فى غير نار وقالوا وقد سبقت عدته فى افنآء ما خلق وثوابه وعقابه غير فانيَيْن أبدًا فإن كانا موجودَيْن فلا بُدّ من فنائهما وذلك خلاف وعده فلا مبدّل لكلماته قال خصمآؤهم ليست الجنّة والنار ثوابًا ولا عقابًا انّما هما مقرّ الثواب والعقاب فيهما يُثاب ويُعاقَب والاستثنآء قد تناولهما من الفنآء والهلاك لقوله إلّا ما شآء ربّك ولحكمه عليها بالسرمديّة

[1] Ms. يفنها.

والأبديّة وكما أنّه وعد ان يُفنى الخلق فكذلك وعد أن لا يفنيهما ثم اختلف هولآء فى مكان الجنّة فقال بعضهم هى فى الآخرة والآخرة مخلوقة وقال بعضهم بل هى فى عالم لما والله عوالم الخلق ما يشآء وقال بعضهم بل هى فى السمآء السابعة سقفها عرش الرحمن وروى خبرًا وزعم بعضهم أنّها مخلوقة ولا يُدرَى أين هى وليس بعجب أن يمسكها الله فى مكان كما أمسك العالم لا فى مكان قالوا والنار تحت الأرض السابعة السُفلَى وروى فيه خبرًا

ذكر صفة الجنّة والنار أجمع ما فى القرآن لوصفها قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذّ الأعين وانتم فيها خالدون وأجمع خبر فيها خبر ابى هُرَيْرة رضى اللّه عنه عن النبى صلعم فيما يحكى عن ربّه عزّ وجلّ أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأَتْ ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبَلْهَ ما اطلعتم عليه قال ابو هريرة رضى الله عنه ومصداق هذا فى كتاب الله عزّ وجلّ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون ورواه حمزة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن محمّد بن

الحنفيّة[1] أنّ النبيّ صلعم قال حدّثوا عن الجنّة بما شئتم فلن تحدّثوا عنها بشيء إلّا وهي أشدّ منه فمن هاهنا استجاز من استجاز صفة الجنّة والنار بما لم يأتِ في الرواية لأنّ الواصف وإن أفرط في الوصف لم يَعْدُ مَدَى خاطر همّته وغاية معرفته لا بلغ كُنه ما فيها ولا بعضَه لأن نعم الله ونقمه فوق ما يُحصيه المُحصون إذ لا غاية لها ولا نهاية أبدًا وقد سُئل رسول الله صلعم عن أهل الجنّة فقال جُرْدٌ مُرْدٌ مكحلون من أبناء ثلث وثلثين سنة هذا من طريق حمّاد بن سلمة عن عليّ بن مريد عن المسيّب عن ابي هُريرة وفي رواية أُخرى من ابناء ثلث وثلثين سنة على سنّ عيسى وصورة يوسف وقلب ابرهيم وطول آدم وصوت داود ولسان محمّد صلّى الله عليه وعليهم اجمعين وقال ابو هريرة إنّ أهل الجنّة ليزدادون جمالًا وحُسنًا كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرمًا وأنكر قوم من أهل الكتاب الأكل والوطئ في الجنّة وذلك أنّ منهم من لا يرى البعث إلّا للأرواح فكذّبهم الله في القرآن بذكر الطعام الحُوّارَى التي وصفها في الجنّة وروى[2] عن النبيّ صلعم

[1] Ms. الحنفيّه. [2] Ms. ورو.

لما يذكر الجنّة قال إنّ الرجل منهم يُعْطَى قوّة ألف رجُل فى الطعام والجماع قالوا وكيف المسّ يا رسول الله قال دحمًا دحمًا إذا قام عنها رجعت مطهّرة بكرًا بذكر لا يملّ وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع فقال يهود مَنْ أكل ينوط فقال النبىّ صلعم [f° 36 v°] ولا يتغوّطون وانّما هو عرق يفيض من أعراضهم مثل المِسْك فتُضْمَر له بطونُهم وسُئل عن النوم فقال صلعم النوم أخو الموت وأهل الجنّة لا يموتون وسُئل عن الولد قال فتنة ورُوى انه قال لو أرادوا لكان حمله ووضْعه ونشوه فى ساعة واحدة وسئل عن المرأة التى يكون[1] لها زوجان لمن تكون فى الجنّة ففى رواية حذيفة أنّه قال تكون لآخر زوجَيْها ولمّا خطب معاوية أمّ الدرداء قالت لستُ أبغى بأبى الدرداء بديلًا سمعتُه يقول قال رسول الله صلعم المرأة لآخر زوجَيْها ولذلك حُرّم أزواج النبىّ صلّى الله عليه من بعده ليكُنّ أزواجه فى الجنّة ورُوى عن الحسن انه قال تخيّر المرأة فتختار أحسنهما خلقًا وسُئل ضمرة بن حبيب أيدخل الجنّة فقال نعم واستدلّ بقوله تعالى لم يطمثهنّ انس

[1] Ms. تكون.

قلبهم ولاجانّ فلانس انسيّات وللجنّ جنّيّات وسئل ابو العالية عن أوقات الجنّة قال كمثل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس لاشمس فيها ولا قمر ولا ليل ولا نهار وهم فى نور أبدًا وانّما يعرفون مقادير الليل والنهار بارخآء الحُجب وفتح الابواب وسُئل الحسن عن الحور العين فقال عجائزكم هولآء العُمْش الرُمْص وتلا انّا انشاناهن انشاء فجعلناهنّ ابكارًا الآية فقال ويطون أزواجًا غيرهنّ من الحور العين وفى حديث ابن المبارك عن رشيد بن سعد عن ابن أنعم انّ مَنْ دخل من نسآء أهل الدنيا الجنّة فضّلْنَ على الحور العين بما عملنَ فى دار الدنيا وهذه الأخبار أتينا بها لشهرتها عند عوامّ الأُمّة واستغنآئها عن الأسانيد وسُئل عن قوله عزّ وجلّ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الاعين فلو اشتهت ما يستقبحه العقول كالقتل والغصب[1] والظلم ونكاح الاخوات والبنات فأجابهم المسلمون بأنّ هذا وما أشبهه ممّا لا يشتهون فى الجنّة لأنّها ليس فيها كما لا يشتهون الموت والمرض والذُلّ والفاقة لأنّها ليست فيها فتحبس طباعهم عن التشوّق إلى ما يستقبح فى العقول ويسون

[1] Ms. العضب.

ذكرها واعلم هداك الله أنّ كلّ ما وصف به من ذهبها وفضّتها وجواهرها وطيبها وطعامها وسائر ما وصف منها كلّها على الحقيقة فى الاسمآء الكثيفة كما خلقت جواهر الأرض وثمارها بقول الله عزّ وجلّ وانّ الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون وروُى عن ابن عبّاس رضى الله عنه عن أسامة بن زيد عن النبىّ صلعم أنّه سُئل عن الجنّة فقال نور يتلألأ وحدّثنا الحسن بن هشام العبسىّ عن وكيع عن الأعمش عن ابن عبّاس رضى الله عنه قال ليس فى الجنّة شئ ممّا فى الدنيا إلّا الاسمآء،

ذكر صفة النار وأهلها أجمع آية فى وصف النار قوله والذين كفروا لهم نار جهنّم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وأجمع خبر فيها خبر محمد بن الحنفية وإن كان مُرْسَلًا حدثوا عن النار بما شئتم فلن تحدّثوا عنها بشئ إلّا وهى اشدّ منه والذى يوجب القياس الشديد أن يكون كلّ ما وصف به النار من أغلالها وانكالها وحيّاتها وعقاربها وأوديتها ومقامعها وسائر ما ذُكر فى القرآن والأخبار خلاف ما هو فى الدنيا كما قلنا فى صفة الجنّة وان يكون الجمع بينهما من جهة الاسم

لا من جهة المعنى لأنّ النـار دار خلود كما أنّ الجنّـة دار خلود [f° 37 r°] وسئـل ابرهيم النَخعىّ عن صفة نار جهنّم فقـال ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزء من نار جهنّم ولقـد ضرب بها البحر مرّتين ولولا ذلـك لما انتفعتم بهـا وسُئـل الحسن عن النار فـقـال يصير البحر نارًا ثم تـلا واذا البحار سُجّرت فقـال يفجر بعضها من بعض ثمّ يرسل عليهـا من الجنوب ريحًا ويُسلّط عليها الشمس حتّى يسجرها فتصير[1] نارًا فجعلها اللـه محبسًا لأهل المعاصى وزعم قوم أنّ النـار مخلـوقـة اليـوم وأنّها تحت تخوم الارضين السُفلَى والبحار هى الحاجزة عن الخلـق وأن حرارة الشمس وحمى الصيف مؤخّرها[2] ورووا أنّ النار اشتكت فقـالت أكل بعضى بعضًا فـأذن لهـا فى نفسين نفس فى الصيف ونفس فى الشتآء وأراك أشدّ مـا يكـون فى الحرّ والبرد وفى الصحاح من الحديث ابردوا بالظُهر فـإنّ فى شدّة الحرّ من فيح جهنّم واستعظم قوم بقـآء ذى روح فى النـار وذلـك لقصور علمهم لأنّ النـار ضروب كالأثير الـذى يزعمون فى علو الهوآء

[1] Ms. فيصير.

[2] Ms. موخرها.

وكالنار الكامنة فى الحجر والشجر وقد سُئل ابن عبّاس رضى الله عنه فيما رووا فقال النيران أربع نار تأكل وتشرب وهى ناركم هذه ونار لا تأكل ولا تشرب وهى النار فى الحجر ونار تشرب ولا تأكل وهى نار الشجر ونار تأكل ولا تشرب وهى نار جهنّم تاكل لحومهم ولا تشرب دماءهم فلذلك يبقى أرواحهم فأخبر أنّ نار جهنم خلاف النيران التى ذكرها بقول الله بعالى كلّما نضجَتْ جلودهم بدّلناهم جلودًا غيرها فأخبر سبحانه أنّه يُبدّل لهم الجلود لتبقى لهم الأرواح لا تأتى عليهم النار فيُفنيهم وقد أرانا الله من قدرته فيما ركّب عليه طباع بعض الحيوانات ما دلّنا به على جواز بقآء ذى روح بالنار كالنعام التى تأكل النار ولا يضرّها والطائر الذى يدخل النار فلا تُحرِقه وما أراه جعل ذلك إلّا عبرةً فدلّنا على جواز بقآء الحياة فى أهل النار والّا فما جاز فى طباع الحيوان الاغتذآء بالنار والحديدة المُحماة وجآء فى صفة أهل النار بالعجيب الفظيع فمن ذلك ما روى أنّه سُئل أبو هريرة رضى الله عنه عن قوله تعالى ومن يَغْلُلْ يأتى بما غلّ يوم القيامة وكيف يأتى من غل مائة بعير ومائتى شاة فقال

أرأيت من كان ضرسه مثل الأُحُد وفخذه مثل ورقان وساقه مثل البيضآء ومجلسه ما بين المدينة الى الربذة وعن الربيع بن أنس قال مكتوب فى الكتاب الأوّل أنّ جلد أحدهم أربعون ذراعًا وبطنه لو وُضِع فيه جبل لوسعه وانّه ليبكى حتى يصير فى وجهه أخاديد من الدمع لو طُرِح فيها السُفُن لجرَتْ كذا الرواية والله أعلم ، واعلم أنّ كلّ ما يُوصَف من الجنّة والنار فسبيله السمع والخبر وما موجب العقل فالأصل الذى هو الجزآء فلا تشتغل بجواب السائل عن الصفات إذا كان مُنكرًا للأصل حتّى يُقرَّ به ،

ذكر اختلاف الناس فى بقآء الجنّة والنار وفنائهما قرأتُ فى شرائع الحرّانيّين أنّ للعالم عامّة لم يزل وأنّه واحد لم يتكثّر ولا يلحقه وصف شىء من المعلومات كُلِّف أهل التميز الإقرار بربوبيّته وبعث الرسل للدلالة وتثبيت الحجّة فوعدوا من أطاع نعيمًا لا يزول وأوعدوا من عصى عذابًا بقدر استحقاقه ثم ينقطع وقال بعض أوايله أنّه يعذّب سبعة [f° 37 v°] آلاف دَوْرٍ ثم ينقطع العذاب ويصير الى رحمة الله تعالى والهند على كثرة اختلافها يجمعها نحلتان السمنيّة المعطلة والبراهمة الموحّدة

وكلّهم مُقرّون بالجزآء وأنّ العذاب سينقطع يومًا والسمنيّة تقول ان الثواب والعقاب موجودان فى هذا العالم بالحواسّ جزآء ما اكتسبته النفوس باقيةٌ خالدة فاعلة وفعلها الإيجاد بالأجساد وانّها لا يزال ساكنة الأبدان فاذا فارقت جسدًا لم تَعُدْ فيه أبدًا وانّها تتناسخ على فعالها لا يأتى أمرًا إلّا على قدر هواها وهمّتها فإذا اجترحت السيّئات أثّرت تلك الأفعال فى جوهرها وصار غرضًا لازمًا لها فإذا فارقت الجسد ذهبت بذلك التأثير إلى الجنس الذى لا يلايم همّتها فتلابسه فيصير بذلك السبب إلى المكروه وهو التناسخ فى أجساد الحيوان كلّه من الهوام والانعام والآنام والطير فى البرّ والبحر قالوا وأشدّ ذلك كلّه إذا حُوّلَتْ فى جسد حيوان تحت الأرض حيث لا ماآ ولا معمورة ويطول عذابها بالجوع والعطش والحرّ والبرد ثمّ تُجوء[1] الى جهنّم وعذابها وذلك نهاية العذاب وأخراه ثمّ يعود من جهنّم القهقرى إلى وجه الأرض للعمل قالوا وانّى عملت الصالحات والأفعال الفاضلة بالضدّ ممّا وصفنا فيلابس الجمال والكمال والصحّة والأمن والقوّة والإنس والنشاط

[1] Ms. تحوّ.

والمُلك والعزّ وطيب النَفْس ويصير آخِر ذلك كلّه الى الجنّة فيمكث فيها بقدر استحقاقها ثمّ يرجع الى الدنيا للعمل قالوا والجنّة اثنتان وثلثون مرتبة ويمكث أهلها فى أدْنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلث وثلاثين ألف سنة وستّمائة وعشرين سنة وكلّ مرتبة أضعاف ما دونها بحساب يطول عدده قالوا والنار اثنتان وثلاثون مرتبة ثم وصفوها بعجائب الصفات من الحريق والزمهرير وزعموا أنّ من قتل شيئًا من الحيوان دون الناس قُتل به مائة مرّة ومرّة ومن قتل إنسانًا قُتل به ألف مرّة ومرّة قالوا وليس عُضْوٌ من الأعضآء قبح او سمج خلقتُه إلّا وقد أتى صاحبه بذلك العُضْو داهية من الدواهى هذا أصل التناسخ ومنهم انتشر فى سائر الأمم وليس من أمّة من الأمم إلّا وهى مُقرّة بالجزاء كما ذكرنا إمّا التناسخ وإمّا الذخر فى الآخرة وأجمعوا أنّ العذاب بقدر الاستحقاق ثم ينقطع وزعم كثير من اليهود أنّه إذا أتى على الجنّة والنار ألف سنة بعد ما صار اليهما أهلهما فنِيَتا وتعطّلتا وصار أهل الجنّة ملائكة وأهل النار رميمًا واحتجّوا بقول الانبيآء الاثنى عشر[1]

[1] Ms. الابى عر.

أنّـه مكتوب فى سِفر يهوشوع[1] أن اللّـه يقول إنْ تمسكت أمرى وأتممت ميثاق أعطيتك مـوضعًا وَسْطَ هولآء الواقفين قـدّامى وقـال فى أهل النار يصيرون رميمًا تحت أرجُل معاشر أهل الجنّـة وسمعتُ رجلًا من يهود عليهم اللعنـة يـزعمون أنّ منهم من يقول أنّ العالم ينقضى فى كلّ ستّـة ألف سنـة ويجدّد وأنّ يوم السبت يوم الحساب ومقداره ألف سنـة ويوم الأحد يوم الابتـدآء واللّـه اعلم بما قـال وكثير منهم يقـول ببقآء الجنّة والنار على الأبد ويحتجّون بقول شعيا فى سِفره أنّ أهل الجنّـة يخرجون ويرون أجساد الـذين عصونى لا يموت أرواحهم ولا تخمد نـارهم والمجوس يزعم أنّ المُسىْ يجازى بقدر استحقاقـه بعد موتـه [f° 38 r°] بثلاثـة أيّام كفاء ما فعل سوآء لا زيادة ولانقصان ومنهم من يزعم أن الجنّة والنـار فى الدنيا بأرض الهند مع هوس كبير وتخليط ظاهر ،

ذكر اختلاف النـاس فى هذا الفصل زعمت طائفـة منهم أنّـه لا بدّ من فنآء النار وانقضآئها يومًا ما رَوَوْا فيـه روايات فرووا عن ابن مسعود رضى اللّه عنه انـه قـال يأتى على جهنّم

[1] Ms. بهرشوع .

زمان تخفق[1] أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما لبثوا أحقابًا وعن الشعبيّ جهنّم أسرع الدارين خرابًا وعن عمر رضى اللّه عنه وأرضاه لو لبث أهل النار فى عدد رمل عالج لكان لهم يرجون واحتجّوا باشياء من باب التعديل ولم يختلفوا فى بقاء الجنّة على الأبد وقالوا آخرون انّهما مؤبّدتان دائمتان لا تفنيان ولا تزولان واحتجّوا بانه لم يكن لنعم اللّه انتهاء وجب ان لا يكون لنقمه انقضاء ورووا عن الأوزاعى انه ذكر هذه الروايات التى احتجّ بها الأوّلون وقال قد كان الناس يرجون لأهل النار الخروج عند قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلّا ما شاء ربّك وقوله لابثين فيها أحقابًا فلما نزلت فى المائدة وهى آخر ما نزل فى القرآن يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم علموا انها لا تفنى ابدًا فإن قيل كيف يجوز على الحكم العدل ان يعاقب على جُرم منقض بعقوبة غير منقضية قيل هو الجزاء على السواء وكما انه لم تقصّر مدّة عمره على الكفر فى دار الدنيا وجب ان لا يقصر عنه العذاب مدّة عمره فى الآخرة

[1] Ms. تحقق.

وأيضًا فإنّ نعمة ما لم تكن منتهية وجب ان لا يكون نقمة منتهية وقد كانت العرب فى جاهليتها تؤمن بالجزآء ومن نظر منهم فى الكتب كان مُقرًّا بالجنّة والنار فمنه قول أُميّة [وافر]

جهنّم تلك لا تبغى بقيًا ... وعدنٌ لا يطالعها رجيم[1]

إذا جهنّم ثم فارتْ ... وأعرَضَ عن قوابسها الجحيم

يحب بصندلٍ صمّ صلابٍ ... كأن الصاحيات لها قضيم[2]

فتسموا ما يعنيها ضواء ... ولا يحبو فيبردها السموم

فهم يطفون كالاقذاء فيها ... لئن[3] لم يغفر الربّ الرحيم

بدانيةٍ من الآفات نزهٍ ... برآء لا يرى فيه سقيم

سواعدُها تحلّب لا تصرّى ... بها الايدى محلّلة تحوم

يغيض حلابها من غير ضَرْع ... ولا بَشَم ولا فيها جُزوم

فيحرم عنهمُ ولكلّ عرقٍ ... عجيجٌ[4] لا احذّ ولا يتيم[5]

فذا عسل وذا لبنٌ وخمرٌ ... وقمح فى منابته صريم

ونخل ساقط الاكتاف عد ... خلال أصوله رُطَب قميم

وتفّاحٌ ورمّانٌ وموز ... وماء بارد عذب سليم

[1] Ms. رحيم.
[2] Ms. فضيم.
[3] Ms. لين.
[4] Ms. عجح.
[5] Ms. يتيم.

وفيها لحم شاهدة ونحرٍ[1] وما فاهوا لهم فيها مقيم
وحور لا يرين الشمس فيها على صُوَر الدُمى فيها سُهوم
نواعم فى الأرائك قاصرات فهُنّ عقائل وَهُمُ قروم
على سُرُرٍ ترى متقابلات الاَثَمّ النضارةُ والنعيم
عليهم سندس وجناب رَيْط وديباج يرى فيها فيوم
وحُلُّوا مِن أساورَ من لُجَيْن ومِن ذهب وعسجدة كريم
ولا لغوٌ ولا تأثيم فيها ولا غول ولا فيها مُليم
وكأس لا يصدّع شاربيها يلذّ بحسن رويتها النديم
يصفّوا[2] فى صحاف من لجين ومن ذهب مباركةٍ رذوم
إذا بلغوا الّتى اجرَوْا اليها تقبّلهم وحلل من يصوم
وخفقت البدور وأردفتهم فضول الله وانتهت القُسُوم

[f° 38 v°] اعلم أنّ هذه الاشياء ممّا جآءت به الرواية والخبر فمنها ما هو ثواب ومنها ما هو عقاب ومنها ما هو تمييز وتفريق والمسلمون لا يختلفون فى أساميها وإنّما الخلاف فى معانيها فاَمّا الصراط فقد جآء فى الحديث أنه يُنصَب جسرٌ على ظهر

[1] Ms. لحر.
[2] Ms. يصفو.

جهنّم ويُحمل الخلق عليه فمن كان من أهل الجنّة جازه ومن كان من أهل النار تهافت فيها وقيل فى صفته انّه أحدّ من السيف وأدقّ من الشعرة دحص مزلّةً وفيه كلاليب وخطاطيف وسَعْدان مضرّسة وحَسَك مُفلطحة مُسيَّرة كذا سنة صعودًا وهكذا هبوطًا وكذا وطأً والناس يجوزونه بقدر أعمالهم فمنهم من يمرّ كالبرق الخاطف ومنهم من يمرّ كالريح العاصف ومنهم من يمرّ كالطير الهادى ومنهم من يمرّ كالجواد المضمّر ومنهم من يمرّ عدوًا ومنهم من يمرّ هرولةً ومنهم من يمشى مشيًا ومنهم من يزحف زحفًا ومنهم من يحبو حَبْوًا ومنهم من يُحتضنه بكشحه وصدره والزالّون والزالّات كثير وقد أُجيب من يزعم أىّ ظلم أعظم من حمل الناس على ما هذه صورته أنّه جعل تمييزًا بين أهل الطاعة وأهل المعصية وعلامة للحقّ على هلاك من هلك ونجاة من نجا وقد جآء فى بعض الأخبار أنّ أهل الطاعة يجوزونه ولا يشعرون به وقيل ينزوى تحت اقدامهم كما ينزوى الجلدة من النار فاذا استقرّوا فى الجنّة قالوا ما بالنا لم نجز الصراط ولم نرد النار التى وعدنا فيُقال انكم جُزتم الصراط

٢ Ms. الزالون والزالات ٣ Ms. دحض

فى الدنيا بأعمالكم ووردتم النار وهى خامدة ومن هاهنا ذهب من ذهب الى تأويل الصراط وما الزم الانسان وكلّف من مشقّة الطاعة ومجاهدة النَفْس فيما ينزع اليه وعلى هذا فسّر بعضهم فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فكّ رقبة الآية وامّا المعتزلة وأهل النظر فإنّهم يذهبون إلى أنّ الصراط هو الدين الذى أمر اللّه بلزومه والتمسّك به وكان ابو الهُذيل من بينهم يجيز ما جآء فى الخبر كما جآء ويحتجّ بما ذكرناه بدئًا وامّا الميزان فروى كثير من المسلمين انه خلق على هيئة الميزان التى يتعاطاه الناس بينهم فى معاملاتهم ومبايعاتهم يوزن به أعمال العباد والأعمال عندهم مخلوقة وفى كتاب وَهْبٍ عن ابن عبّاس ان له كفّتين وعمودًا كلّ كفّة طباق الأرض احداهما من ظلمة والأخرى من نور وعموده ما بين المشرق والمغرب وهو مُعلّق بالعرش وله لسان وصيح ينادى الأسعد فلان والأشقى فلان فإن صحّت الرواية فالمعنى فيه ما ذكرناه فى الصراط انه جعل مميّزًا فارقًا وهو قول ابى الهُذيل يجوز ان يُنصب[1] ميزان يجعل رُجحانه علامة لمن نجا وخفّتُه

[1] Ms. ينضب.

علامة لمن هلك وقالت المعتزلة غيره وكثير من الأمّة انّ الميزان مثلٌ لتسوية الجزآء وتحقيق العدل وهو قول مجاهد والضّحاك الشعبيّ واحتجّوا بقول النّاس للرجل الأمين العدل ما هو إلّا كالميزان المستقيم ألاترى الى ما يرثى به عمر بن عبد العزيز رحمه الله [بسيط]

قد غيّب[1] الدافنون التّرب اذ دفنوا بدير سمعان قسطاس الموازين

وانشد الفرّآء بيتًا [كامل]

قد كنتُ قبل لقائكم دا مِرَّة عندى لكلّ مخاصمٍ ميزان

[f° 39 r°] ويسمّى الحجة ميزانًا والله اعلم واحكم وختلفوا فى الموزون فقال قوم يُوزَن عين الأعمال فتخفّ السيّئة لانّه يأتيها الإنسان بخفّة ونشاط وتثقل الحسنة لأنّه يأتيها بعنآء وكلفة وقالت طائفة بل يوزن صُحف الأعمال وهو قول ابن عبّاس رضى اللّه عنه ويعضد رواية عبد الله بن عمر عن النبيّ صلعم يُؤتى برجل يوم القيامة ويُؤتى بتسعة وتسعين سجلًّا

[1] Ms. عب, corrigé d'après le vers de Férazdaq cité par Mas-'oûdj, *Prairies d'Or*, t. V, p. 445.

كلّ سجلّ مَدُّ البصر فيها ذنوبه وخطاياه فيوضع فى كفّةٍ ثم يخرج له قرطاس مثل واشد بطرف سبابته على بعض إبهامه فيه شهادة ان لا إله إلّا الله فيوضع فى الكفّة الأخرى فيرجح به وقال قوم يوزن ثواب الأعمال وذلك ان الله يظهره فى صورة ويُحدث عند الوزن ثقلًا فى الطاعة وخفّة فى المعصية وكلّ ما حكى وروى ممكن والله أعلم بالحقّ وأحكم وأمّا الأعراف فذكر انّه كسور بين الجنّة والنار يوقَف عليها قوم إلى أن يقضى الله تعالى بين خلقه مع اختلاف كثير فى من يقام عليه ويدلّ على انّه من الجنّة قوله عزّ وعلا ونادى أصحاب النار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله[1] وفيه يقول أميّة بن ابى الصلت [بسيط]

وآخرون على الاعراف قد طمعوا بجنّة حَفَّها الرُّمّان والحَصَرُ
منهم رجالٌ على الرحمن رزقهم مكفّر عنهُمْ[2] الاخباث والوَزَرُ

وأمّا الصُور فانّ الرُواة مختلفة فيه فروى انّه كهيئة القرن

[1] Ms. ربكم. [2] Ms. عنه.

يُجمع فيه الأرواح ثمّ يُنفَخ منه فى الأجساد عند البعث وقال قوم يخلق الصور يوم القيامة وتأوّلوا قوله وهو الذى خلق السموات والأرض بالحقّ ويوم يقول كن فيكون قال يقول للسموات كونى صورًا يُنفخ فيه وقال بعضهم الصور جمع الصورة وإنْ صحّ الخبر كيف انعم وصاحب الصور قد التقمه وحنا جبهته ينظر متى يؤمر فينفخ لزم التسليم والقول به وأمّا الحوض جاء فى الحديث بروايات مختلفة وقال كثير من أهل التفسير أن الكوثر اسم حوض النبىّ صلعم وروى ما بين جَنْبَى حوضى كما بين صنعاء وايلة وآنيته[1] فى عدد نجوم السماء ماءه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأشدّ بياضًا من اللبن مَن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا وقال قوم فى تأويل الحوض انه عمله ودينه وطريقته والله أعلم ،

[1] Ms. واسته.

تمّ الجزء الأوّل